

الوافي في الوفيات

وكان ابن التلميذ كثير التواضع وأوحد الزمان متكبِّراً فقال البديع الأسطرابي فيهما :

أبو الحسن الطبيب ومُقتَفَـيـهِ ... أبو البركات في طَـرَـفَي نقيض .

فهذا بالتواضع في الثريا ... وهذا بالتكبُّر في الحضيض .

وكان ابن التلميذ حَسَنَ السمات كثير الوفاق حتى قيل إنه لم يُسمع منه بدار الخلافة مدةَ ما تردَّد إليها شيءٌ من المجون سوى مرة واحدة بحضرة المقتفي لأنه كان له راتبٌ بدار القوارير ببغداد فـقُطع ولم يعلم به الخليفة فاتفق أنه كان عنده يوماً فلما عزم على القيام لم يقدر عليه إلا بكلفة ومشقة من الكِبَر فقال له الخليفة : كبرتَ يا حكيمُ فقال : نعم يا مولانا وتكسَّرت قواريري وأهل بغداد يقولون لمن كبر : تكسرت قواريره فقال الخليفة : هذا الحكيم لم أسمع منه هزلاً قطُّ فاكشِفوا قضيتَّه فوجدوا راتبه بدار القوارير قد قُطع فتقدم بـرَدِها عليه وزاده إقطاعاً آخر ولمَّا توفي لم يبق أحد من الجانبين ببغداد من لم يحضر البيعة وشهد جنازته ومن شعره لغز في الميزان الذي للشمس :

ما واحدٌ مختلفُ السماءِ ... يعدلُ في الأرض وفي السَّماءِ .

يحكم بالقسط بلا رِياء ... أعمى يُري الإرشادَ كلَّ رائٍ .

أخرسَ لا من علةٍ وداء ... يغني عن التصريح بالإيماء .

يجيب إن ناداه ذو امتراء ... بالرفع أو بالخفض في الذِّداء .

يُفصح إن علَّـق في الهواء .

ومنه في ولده وكان بعيداً عن أبيه في سائر أحواله : .

أشكو إلى صاحبٍ شكَّساً ... تُسَعِفُهُ النفسُ وهو يَـعـسِفُها .

فنحن كالشمس والهِلالِ معاً ... تكسبه الذُّورَ وهو يَكـسِفُها .

ومنه : .

يا من رمانِي عن قَوسِ فُرْقَتِهِ ... بِسَـهـمِ هَجَرٍ غلا تَـلَـافِـيهِ .

إرضَ لمن غاب عنكَ غيبَتَهُ ... فذاكَ ذَنبٌ عَـقَـابَهُ فِيهِ .

وذكر العماد الكاتب في الخريدة البيت الثاني منسوباً إلى أبي محمد ابن جَكَّـيـنا وضمَّ

إليه بعده : .

لو لَمْ يَنـلْهُ من العِـقَابِ سوى ... بـُـعـدِكَ عنه لكان يكفيه .

وأورد الحظيري في زينة الدهر لابن التلميذ :

عَاتِبْتُ إِذْ لَمْ يَزُرْ خِيَالُكَ وَالنَّ ... وَمُ بَشُوقِي إِلَيْكَ مَسْلُوبُ .

فزارني مُنْعِمًا وَعَاتِبَنِي ... كَمَا يَقَالُ الْمَنَامُ مَقْلُوبُ .

ومن شعر ابن التلميذ :

بُلَاهِذَةً الشَّبِيبَةَ سَكْرَةً ... فَصَحَّوْتُ وَاسْتَأْنَفْتُ سَرِيرَةً مُجْمِلَةً .

وَقَعَدْتُ أَنْتَظِرَ الْفَنَاءَ كَرَكَبٍ ... عَرَفَ الْمَحَلَّ فَنَامَ دُونَ الْمَنْزِلِ .

وذكر أن أبا محمد بن جكينا مرض فقصده ليعالجه فلمّا عُوِفِيَّ أعطاه دراهم فقال فيه :

جَادَ وَاسْتَنْفَّ الْمَرِيضَ وَقَدْ كَا ... دَضَنِيَّ أَنْ يَلُفَّ سَاقًا بِسَاقِ .

والذي يَدْفَعُ الْمَنُونَ عَنِ النَّفِّ ... سَ جَدِيرُ بِرَقْسَمَةِ الْأَرْزَاقِ .

وقصده مرّةً أَنْ يَعْبُرَ إِلَيْهِ دَجَلَةٌ لِيَدَاوِيَهُ فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

إِنَّ أَمْرُ الْقَيْسِ الَّذِي ... هَامَ بِذَاتِ الْمَحْمَلِ .

كَانَ شَفَاهُ عَجَبَةً ... وَعَجَبَةً تَصْلُحُ لِي .

وكان ابن جكينا قد عمي في آخر عمره وجرّت بينهما منافرة في أمر واشتهى مصالحته فكتب

إليه :

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَصَالِحَ بِشًّا ... رَ بِنَ بُرْدٍ فَاطْرَحَ عَلَيْهِ أَبَاهُ .

فسير إليه بُرداً وله معه وقائع وحكايات وبين ابن التلميذ مُجَارَاتٌ وَمُحَاوَرَاتٌ ومن

شعره ابن التلميذ :

جُودُهُ كَالطَّبِيبِ فِينَا يَدَاوِي ... سَوْءَ أَحْوَالِنَا بِحَسَنِ الصَّنِيعِ .

فهو كَالْمُومِيَا إِذَا انْكَسَرَ الْعَطْ ... مٌ وَمِثْلَ التَّرِيقِ لِلْمَلْسُوعِ .

وقال في ولده سعيد :

حُبِّي سَعِيدًا جَوْهَرٌ ثَابِتٌ ... وَحُبِّيُّهُ لِي عَرَضٌ زَائِلٌ .

به جهاتي السّتُّ مشغولةٌ ... وَهُوَ إِلَى غَيْرِي بِهَا مَائِلٌ .

وقال أيضاً :

تَقَسَّمَ قَلْبِي فِي مَحَبَّةٍ مَعِشَرٍ ... بِكُلِّ فَتًى مِنْهُمْ هَوَايَ مَنُوطٌ .

كَأَنَّ فُؤَادِي مَرْكَزٌ وَهُمْ لَهُ ... مُحِيطٌ وَأَهْوَائِي إِلَيْهِ خُطُوطٌ .

وكان دائماً يُؤزّب ولده بهذا البيت .

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عَيَّنْتُ بِهِ ... وَأَرَاهُ أَشْهَلُ مَا عَلَيْكَ يَضْرِيعُ .

ويقال إن البيتين قبل هذا لأبي علي المهندس المصري وقال ابن التلميذ :